Issn:2572-0023

مساهمة الحاكم في تحقيق الأمن الغذائي للرعية من خلال نماذج من التاريخ الإسلامي

أ/عبد العزيز رشيد
جامعة الجزائر 02
rachadachor@hotmail.fr

الملخص:

الأمن الغذائي من أكبر التحديات التي واجهت وتواجه أمتنا ماضيا وحاضرا. اخترنا تجارب لحكام من تاريخنا بذلوا جهودا لتحقيق الأمن الغذائي لشعوبهم، من بينها تجربة سيدنا يوسف عليه السلام الذي وضع خطة ناجعة لتجنب أضرار المجاعة التي أصابت مصر والمتمثلة في تشجيع الزراعة، وعدم الإسراف، وادخار الحبوب لمواجهة السنوات العجاف. وفي العصر الإسلامي برزت تجربة عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان حريصا على ضمان الغذاء للرعية، واتخذ تدابير مادية ودينية. فمن تدابيره المادية، تشجيع الزراعة عن طريق إقطاع الأراضي للصحابة لاستصلاحها، وتوظيف أموال الخراج بإبقاء الأراضي عند أصحابها بعد فتح العراق لتشجيعهم على النشاط الفلاحي، وضمان مورد ثابت لخزينة الدولة بواسطة أموال الخراج، والتوسع في نظام العطاء للمسلمين. كما حرص على جمع وخلال عام الرمادة وهي المجاعة التي ضربت المدينة قام عمر بإنشاء دار الدقيق لتخزين المواد الغذائية وتوزيعها على الوافدين إلى المدينة هروبا من الجوع. وأدرك عمر أهمية الجانب العقائدي فكان في خطبه يحث الناس على التوبة والاستغفار ليرفع الله عنهم البلاء، كما حرص على صلاة الاستسقاء لسقوط الغيث وسقي الزرع. والتجربة الثالثة لعمر بن عبد العزيز، فبعد توليه الخلافة أعاد توزيع ثروة خلفاء بني أمية بالعدل بادئا بنفسه وبأهل بيته، كما حرص على جمع أموال الزكاة وإنفاقها على المحتاجين حتى لم يجد لمن يعطيها، وخصص دارا لإطعام المساكين وأبناء السبيل، وشجع الزراعة من خلال إلغاء الضرائب على الفلاحين ومنحهم المساعدات لتحفيزهم على العمل، وساعد على إحياء الأراضي، ووضع قواعد على أموال الخراج حتى لا يظلم الفلاحين وأصحاب الأراضي. وبفضل سياسته عم الرخاء جميع أنحاء الخلافة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الحاكم، الأمن الغذائي، الرعية، التاريخ الإسلامي.

Summary:

Food security is one of the greatest challenges facing our nation, past and present. We have chosen experiences of rulers from our history who have made efforts to achieve food security for their people, including the experience of Sayyidna Yusuf peace be upon him, who developed an effective plan to avoid the damage caused by the famine that has affected Egypt. In the Islamic era came the experience of Omar ibn al-Khattab may Allah be pleased with him, who was keen to ensure food for the parish, and took physical and religious measures. Among its material measures is the promotion of agriculture through land expropriation for the Sahaba to reclaim it, and to use the proceeds of the abscess to keep the land to its owners after opening Iraq to encourage agricultural activity, guarantee a steady resource for the state treasury through the Kharaj funds and expand the system of giving to Muslims. During the year of Ramadah, the famine that struck the city, Omar built a flour house to store food and distribute it to those who came to the city to escape hunger. Omar realized the importance of the doctrinal aspect. In his sermons, he urged people to repent and ask for forgiveness, so that Allaah would lift them up from them. He also took care to pray al-Astiska for the fall of al-Ghaith and watering the plant.And the third experiment of Omar bin Abdul Aziz, after he took the Caliphate redistributed the wealth of the successors of Bani Umayya in justice, beginning with himself and his family, and was keen to collect the funds of Zakat and spend on those in need so he did not find the one who gives it, and allocated a house to feed the poor and the people of the way, Abolishing taxes on farmers and granting them aid to motivate them to work, and helped revive the land, and the establishment of rules on funds abscess so as not to oppress peasants and landowners. Thanks to his policy of prosperity throughout the Islamic caliphate. What is needed today for our nation to follow the experiences of grandparents to get out of the state of dependency of food to foreign countries.

Key words: the Ruler, Food Security, The Parish, Islamique History.

مقدمة:

من أكبر التحديات التي واجهت الدول والشعوب ولا تزال تواجهها إلى يومنا هذا قضية الأمن الغذائي. والدول العربية اليوم معظمها عاجزة عن تحقيق الأمن الغذائي الحقيقي لشعوبها رغم ما تمتلكه من إمكانيات مادية وبشرية مما جعلها في تبعية غذائية للدول الأجنبية. وإذا كان هذا هو حال الأمة العربية والإسلامية اليوم، فكيف كان حالها في الماضي، وهل كانت عاجزة عن تحقيق الأمن الغذائي الدائم لشعوبها. وسنحاول الإجابة عن الإشكالية من خلال ثلاث تجارب الأولى وردت في القرآن الكريم في سورة يوسف، وهي تجربة سيدنا يوسف عليه السلام، أما الثانية فهي للخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، والثالثة مثلها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، فما هي يا ترى الإجراءات التي اتخذها هؤلاء المسؤولون في محاولة منهم لتوفير الغذاء للرعية وتحقيق الأمن الغذائي في الظروف العادية وفي الأوقات الصعبة.

أولا/ تعريف الأمن الغذائي

الأمن الغذائي مصطلح حديث [1] يمكن دراسته كظاهرة اقتصادية وبشرية بالاعتماد على علوم أخرى كعلم الديمغرافيا [2] وعلم الإحصاء، بينما من الصعب دراسة الموضوع في العصور الإسلامية نظرا لنقص أو انعدام الأرقام والإحصائيات في المصادر سواء الزراعية مثل كمية الإنتاج أو عدد السكان، ومن حسن الحظ وجود مصادر أخرى يمكن الاستعانة بها لدراسة الموضوع، منها كتب الحسبة، النوازل، الطبقات، المعاجم وغيرها. وسنحاول أولا إعطاء مفهوم للأمن الغذائي انطلاقا من التعريفات الحديثة، ثم إيجاد تعريفات تصب في نفس المعنى من خلال المصادر التاريخية.

يقصد بالأمن الغذائي قدرة الدولة على توفير الغذاء الأساسي بالكم المرغوب والنوعية المطلوبة لمواطنيها بانتظام سواء في الظروف العادية أو الظروف الطارئة [3] إما من مصادر محلية أو عن طريق الاستيراد [4]. وعليه فإن الأمن الغذائي نوعان، مطلق ونسبي. أما المطلق فهو إنتاج الغذاء بما يعادل أو يفوق الطلب المحلي، وهذا المستوى مطابق لمفهوم الاكتفاء الذاتي. وقد أورد

ابن خلدون في مقدمته ما يشير إلى ذلك بقوله "**لا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثرهم بأضعاف**" [5].

وما أورده ابن خلدون يصب في مفهوم الأمن الغذائي الذي يمكن تحقيقه عن طريق الإنتاج المحلي أو ما يعرف بالاكتفاء الذاتي، إلا أن تحقيقه على الدوام أمر في غاية الصعوبة بسبب تدخل عدة عوامل. ومن هنا يظهر نوع آخر من الأمن الغذائي وهو الذي يعرف بالأمن الغذائي النسبي، وهو قدرة الدولة على توفير حاجات أفرادها من الغذاء عن طريق الإنتاج المحلي والاستيراد في نفس الوقت [6]. كما يضيف الإسلام عنصرا آخر لمفهوم الأمن الغذائي، فبالإضافة إلى الأسباب المادية فهو يركز على البعد العقائدي، وهو أن الله تعالى هو الرازق، وأن الاستغفار والدعاء يجلبان الرزق، وتقوى الله ينميه ويزيده [7].

وقد ربط الله تعالى في القرآن بين الأمن الشخصي والأمن الغذائي من جهة، والعبادة من جهة أخرى، فلا أمان لأمة تعاني الجوع والحرمان، كما لا يتحقق الأمن الغذائي لأمة تفتقد لطاعة الله، وتكثر فيها الحروب والاضطرابات الداخلية. قال تعالى﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [8].

ثانيا/ تجارب من تاريخ أمتنا لتحقيق الأمن الغذائي

1 – تجربة سيدنا يوسف عليه السلام

يحفل التاريخ البشري بكثير من الأمثلة عن التدابير والإجراءات التي اتخذها بعض الحكام والمسؤولون لضمان الغذاء للرعية، وقد تجلى ذلك في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع عزيز مصر. يقول الله تعالى ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)** ﴾ [9]. فقد أشارت الآيات الكريمة إلى أهمية الإنتاج

الزراعي في تحقيق الأمن الغذائي، وإلى ضرورة ترشيد الاستهلاك، وعدم الإسراف بما يمنع نقص الغذاء وحدوث المجاعة، وذلك عن طريق التخطيط الذي امتد خمسة عشر سنة، ابتداء بالخطوة الأولى وهي زراعة الحبوب لمدة سبع سنين. ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ (10)، حسب عادات سكان مصر في ذلك الوقت ، ثم الخطوة الثانية وهي ادخار ما فضل عن أقواتهم في سنبله ﴿فَمَا حَصَدتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ (11) فإذا بقي في سنبله دفع عنه السوس (12) .وقد دلت الدراسات العلمية الحديثة نجاعة هذه الطريقة في حفظ القمح، حيث تعمل القشور المحيطة به على منع مهاجمته من الحشرات الضارة والمؤثرات الجوية الخارجية (13).أما الخطوة الثالثة فتتمثل في تقليل ما يأكلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (14)، في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك للسنوات المجدبة (15). أما الخطوة الرابعة عندما تأتي السنوات العجاف يأكلون الحبوب المحفوظة في سنابلها، ولا يبقى إلا القليل منها لينتفعوا بها في زراعتهم. ﴿إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾(16). أي مما تدخرون، وهو يدل على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة عند الضرورة (17).

2 – تجارب لتحقيق الأمن الغذائي خلال القرون الإسلامية الأولى

سجل التاريخ الإسلامي جهودا معتبرة قام بها الخلفاء الراشدون من أجل تأمين الاحتياجات الغذائية للرعية، وقد اخترنا تجربتين تجلى فيهما حرص ولاة الأمر على اتخاذ التدابير اللازمة لضمان الغذاء للرعية ووقايتهم من الجوع. وهاتان التجربتان هما للخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، وتجربة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.

أ – تجربة عمر بن الخطاب

أدرك عمر بن الخطاب أهمية العمل والإنتاج، والاعتماد على الإمكانيات الذاتية للدولة في تحقيق الاكتفاء الذاتي وضمان الأمن الغذائي للرعية، وتجنيبهم المجاعات، وذلك من خلال اتخاذ عدة تدابير:

– التدابير المادية

إقطاع الأراضي للناس لاستصلاحها: اقتطع عمر بن الخطاب عدة أراضي لاستصلاحها جريا على السياسة النبوية، ومن أبرز طرق إعمار الأرض إحياؤها، فقد أعلن: (يا أيها الناس من أحيا أرضا ميتة فهي له) [18]. وقد اقطع عمر عدة اراضي للصحابة بهدف استصلاحها والانتفاع بها [19] فيما يعود عليهم وعلى الأمة بالخير.

توظيف أموال الخراج: عندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات الإسلامية تعددت موارد بيت المال وكثرت مصارفه، وللمحافظة على المصالح العامة كان لا بد من سياسة مالية حكيمة ألا وهي إيجاد مورد مالي ثابت ودائم ، وهذا المورد هو الخراج [20] ، وقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم الغنائم من أموال وأراضي، لكن عمر أرا د إبقاء الأرض في أيدي المغلوبين، على أن يدفعوا الخراج مراعاة لحقوق الأجيال القادمة [21]، فهو لا يريد أن تقسم أربعة أخماسها على الجند الفاتحين فيتملكوها ويستأثر بها [22] الآباء ثم تورث عنهم ولا يبقى للمسلمين اللاحقين شيء، وإذا كان الآباء المحاربون يستحقون ذلك لجهادهم، فما الذي يميز أبناءهم و أحفادهم عن بقية المسلمين، بحيث يستأثر ورثة المحاربين بالأرض دون الآخرين وهم جميعا لم يحاربوا ،ومن ثم يجب أن تعم الفائدة الجميع [23]. ووضع الخراج على الأرض المفتوحة رأى فيه بعض الصحابة خروجا على ما ألفوه في حكم غنائم الحرب وعلى ما فعله الرسول ﷺ في أرض خيبر [24]، لكن الحكمة من هذا الإجراء هو عدم تحول الفاتحين إلى فلاحين مما يضعف قدراتهم القتالية وهم يواجهون الفرس في الشرق والبيزنطيين في الغرب، كما ربط الفلاحين القدامى بأرضهم وكسب ولاءهم، وساهم في استمرار الزراعة بأرض السواد، وأوجد موردا سنويا كبيرا لبيت المال مكن الدولة من الارتقاء بمستوى معيشة الناس عن طريق نظام العطاء [25]. واستطاع عمر بن الخطاب بفضل أموال الخراج أن يتوسع في العطاء للمسلمين [26].

الاستفادة من أموال الزكاة: وضع عمر بن الخطاب نظاما دقيقا حكيما لجمع الزكاة، فقد قام بتنظيم مؤسسة الزكاة وتطويرها فأرسل العمال لجمعها في كل أرجاء الخلافة بعد أن أسلم الكثير

من سكان البلاد المفتوحة، وكان العدل في جباية الأموال صفة الخلافة الراشدة دون الإخلال بحقوق بيت المال [27]. وكان عمر يوصي بالرفق بأصحاب البساتين عند تقدير الحاصل من الثمر [28]. وبسبب كثرة الحنطة سمح بإخراج زكاة الفطر من الحنطة [29]، ولا شك أن هذا ساعد على توفير الغذاء للناس.

إنشاء دار الدقيق: أنشأ عمر بن الخطاب دار الدقيق قصد تأمين الغذاء للناس والتي استعملت خلال عام الرمادة [30] لتوزيع المواد الغذائية على الأعراب الوافدين على المدينة قبل أن تأتيه المؤن من المواد الغذائية من مصر والشام والعراق وخراسان [31]. وقد كثرت الحنطة في خلافة عمر [32] مما ساعده على توسيع دار الدقيق لإطعام عشرات الألوف ممن وفدوا إلى المدينة عام الرمادة قبل أ ن يحيا الناس بالمطر. وهذا يدل على عقلية عمر في تطوير مؤسسات الدولة سواء كانت مالية أو غيرها [33].

اعتمد عمر إذا أولا على ما موارد بيت المال ، وعلى ما جادت به نفوس أهل المدينة، ولم يلجا إلى الأمصار إلا بعد أن نفذ كل ما في المدينة من طعام ، فالاعتماد بعد الله على الموارد المحلية أو ما يعرف اليوم بمحاولة تحقيق الأمن الغذائي عن طريق الإنتاج المحلي، وهذا من حسن التدبير، وسبب من أسباب نجاح عمر الذي حققه في هذه المحنة وبعد أن نفذ كل ما في بيت المال من مؤن ومواد غذائية اضطر عمر إلى طلب العون من ولاة الأقاليم لإنقاذ سكان المدينة وما جاورها من القبائل العربية من الموت نتيجة الجوع الذي أصاب المنطقة .

طلب الغوث من الأمصار: كان عمر حريصا على توفير الأقوات والمواد الغذائية للمسلمين، وخاصة من زحف منهم إلى المدينة المنورة، بسبب الجوع، ومن بقي منهم في البادية، يواجه صعوبة العيش [34] وكان يخرج بنفسه في الليل ليتفقد أمور الرعية ومعاناتها، فكتب إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة، والى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد، فبعث كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمة [35]. كما قدم أبو عبيدة المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاما، فأمره عمر بتفرقتها في الأحياء حول المدينة [36]. وقد وصف عمر ﷺ سياسته تجاه

هذه الأزمة الخانقة في قوله (لئن أصاب الناس سنة لأنفقن عليهم من مال الله ما وجدت درهما، فان لم أجد ألزمت كل رجل رجلا) [37] وقد أجهد عمر في إمداد العرب بالقمح والزيت من الأرياف [38].

تأخير دفع الزكاة عام الرمادة: كان عمر رؤوفا برعيته، مراعيا ظروفهم الصعبة فما كان منه إلا أن أوقف إلزام الناس بالزكاة في عام الرمادة، ولما انتهت المجاعة وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة، أي اعتبرها دينا على القادرين حتى يسد العجز لدى الأفراد المحتاجين وليبقى في بيت المال رصيدا بعد أن أنفقه كله [39].

من خلال ما سبق يمكن القول إن عمر بن الخطاب كان يمثل القيادة المسؤولة، الناجحة من خلال تشجيعه للزراعة وإقامته مؤسسات اقتصادية مثل دار الدقيق، وما فعله عام الرمادة في إطار حرصه على تلبية حاجة الناس حتى انفرجت الأزمة الاقتصادية، ورجعت الأمور إلى حالتها [40].

– التدابير الربانية:

إن الأزمة الغذائية أو المجاعة قد تكون ابتلاء وامتحانا من الله عز وجل لقوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) [41] أي أن الله تعالى يبتلي عبده بالخوف والجوع ليختبر إيمانه. وقد تكون المشكلة الغذائية بسبب الإنسان نفسه، وهذا ما يقره القرآن الكريم، قال تعالى أيضا (ولقد أخذنا آل فرعن بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) [42]. والسنين لغة هي سنوات الشدة والقحط [43]. ولهذا فإن تقوى الله من أهم عوامل حل المشكلة الغذائية، وقد ربط القرآن الكريم في مواضع متكررة بين الاستقامة على هدي الله، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء، يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [44]. وقد أدرك عمر بن الخطاب العلاقة بين الذنوب والتوبة منها، وبين تيسير الأرزاق حيث

خرج يستسقي فقام على المنبر وقرأ الآيات ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[45]. ومعنى الآيات أنكم إن تبتم إلى الله واستغفرتموه كان ذلك سببا في سقوط المطر في كل أمة [46]. وخرج يستسقي فلا يزال يقول رافعا صوته: اللهم اغفر لنا إنك كنت غفارا حتى أتى المصلى يستسقي، ويدعو والناس معه، قال: فلبثنا أياما فأنشأ الله سحابة ما بين الشام واليمن ثم سقاها الله حتى أمطرت البلاد بإذن الله، وسالت السيول [47].

ب – تجربة عمر بن عبد العزيز

– إعادة توزيع الثروة بالعدل

كان عمر بن عبد العزيز ينصح الخليفة سليمان بن عبد الملك بأن يرد المظالم ليسود العدل وتتحسن أحوال الرعية. وعندما تولى عمر الخلافة سعى إلى إعادة توزيع الثروة بالعدل، وأعلن بطلان عطاء الأمراء السابقين من بني أمية، وأخذ يرد ما نالوه من هذا العطاء إلى بيت المال [48]. وقد بدأ بنفسه وبأهل بيته حيث صعد على المنبر، وقال "**أما بعد فإن هؤلاء القوم – أي بني أمية – قد أعطونا عطايا ما كان ينبغي أن نأخذها وما كان ينبغي أن يعطوها، وقد صار ذلك إلى ما ليس عليه دون الله محاسب، ألا وإني الآن رددتها وبدأت بنفسي بيتي**" [49]. وانتقد عمر سياسة سليمان التوزيعية لأنه أدرك أن الحرمان الذي يعاني منه الفقراء ناتج عن سوء توزيع الثروة، فقرر عمر منع الأمراء والكبراء من الاستئثار بالثروة، ومصادرة الأملاك المغصوبة ظلما، والإنفاق على الفئات المحرومة وتامين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال [50] لهذا كان عمر يبكي خوفا من ان يكون في دولته جائع أو عاركما أورده ابن عبد الحكم [51].

– توزيع أموال الزكاة والصدقات:

لما سمع الناس بولاية عمر بن عبد العزيز تسارعوا إلى أداء زكاة الفطر مما أدى إلى وفرة المال وامتلاء خزينة الدولة، والسبب في ذلك هو عدله وحرصه على توزيع الصدقات إتباعا للهدي النبوي [52]، وخصص عمر دارا لإطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل [53]. وكانت سياسته التوزيعية تهدف إلى إيصال الناس إلى حد الكفاية من كل النواحي، سواء الطعام أو المسكن، أو المركب أو الأثاث، وهي عبارة عن حاجات أساسية وضرورية تصعب الحياة بدونها يضطلع الحاكم بتوفيرها لرعيته [54].

كان عمر بن عبد العزيز حريصا على العدل لإدراكه أنه بالعدل تستقيم أمور الدولة تستقر أوضاع الرعية [55] فلما أرسل إليه أحد عماله يقول (أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت فإن أراد أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرمها به فعل. فكتب إليه عمر: أما بعد فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأ ت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم) [56]. فالعدل هو الحصن الحقيقي الذي يحمي البلاد والعباد من كل الأخطار.

– تشجيع الزراعة:

أ درك عمر أهمية النشاط الزراعي في تأمين الغذاء للرعية، لهذا اتخذ عدة إجراءات لتطوير القطاع، منها العناية بالمزارعين وإلغاء كل الضرائب غير الشرعية، ووضع المكس عن كل أرض واكتفى بالعشر، والعشر ما يجب في الزروع التي سقيت بماء السماء [57]. وكتب عمر إلى أحد عماله أن ضع عن الناس المكس، ولعمري ما هو بالمكس ولكنه البخس الذي قال فيه الله عز وجل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [58]. ولم يكتف عمر بإلغاء الضرائب بل أمر بنسف دار الدولة التي فرضت المكس على الناس [59].

ويلاحظ من كتب عمر إلى عماله الانحرافات السابقة الظالمة، وقد كان لها أثر اقتصادي سيئ حيث جعلت أصحاب الأرض يتركون أرضهم فضعف الإنتاج [60]، فأنكرها عمر وكتب إلى عماله بإلغائها. كما كان عمر يقدم القروض للمزارعين لتحفيزهم على خدمة الأرض، فقد

جاء في رسالته لواليه على العراق "**أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه**" (61).

– إحياء الأراضي الموات

شجع عمر الناس على إحياء الأراضي الموات، متبعا في ذلك ما قاله رسول الله ﷺ "**من أحيا أرضا ميتة فهي له. وما أكلت العافية منه فهي منه صدقة**"(62)، والخلفاء الراشدين، فكتب عمر كتابا إلى أحد ولاته قال فيه "**من أحيا أرضا ميتة ببنيان أو حرث ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم أو أحيوا بعضا وتركوا بعضا فأجاز للقوم إحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث**" (63). ويكون الإحياء بكافة الطرق بالزراعة، أو بإقامة مباني بعد تمهيد الأرض، أو حسر الماء عنها كأن كانت مستنقعا فجففها حتى صارت صالحة (64).

– تحديد قواعد الخراج

أمر عمر بطلب النظر في الأرض، أي دراسة أحوالها، ودرجة خصوبتها لمعرفة مدى احتمالها للخراج حتى يكون قدر الخراج الذي يؤخذ منها عادلا، فلا تحمل الأرض ما لا تطيق (65)، ولا يؤخذ من الأرض الخراب إلا القليل الذي يطيقه، وعلى المختصين أن يبحثوا أسباب خراب الأرض ليعمروها لأن التعمير يزيد الإنتاج العام ويساهم في التموين الغذائي للشعب. كما أن العامر من الأرض قد لا يؤتي في سنة محاصيل كافية تستدعي أخذ الخراج عنها بسبب أحوال جوية أو آفات زراعية كالجراد، أو هبوط درجة خصوبتها فإذا أدت هذه العوامل إلى توقف الأرض عن الإنتاج فلا يؤخذ منها خراج، وإذا كان إنتاجها يسيرا يؤخذ منها خراج قليل يتناسب مع اليسير الذي أنتجته حتى لا يهجر المزارعون أراضيهم إذا أتى الخراج على إنتاج أرضهم (66). كما أمر عمر ببناء المرافق العامة والتي تسمى اليوم بمشاريع البنية التحتية، ولا تقوم التنمية إلا بهذه المرافق الضرورية، من أنهار وترع ومواصلات وطرق (67).

وقد أثمرت سياسة عمر حيث حفزت الناس على العمل والإنتاج، وازدهرت التجارة وبالتالي زيادة الدخل الخاضع للزكاة (68)، وعم الرخاء البلاد والعباد. عن يحي بن سعيد قال

"**بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية، فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد فقيرا، ولم نجد من يأخذها مني، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس**" (69) مما أدى إلى تحسن مستوى معيشة الطبقات الفقيرة، وارتفاع قدرتها الشرائية، والتي ستتوجه إلى الاستهلاك (70)، وبالتالي زيادة الطلب على السلعة. وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب "**إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فما يجده فيرجع بماله**" (71).

لقد استطاع عمر بن عبد العزيز بفضل تقواه، وعدله في الرعية، وحرصه على سياستهم بما جاء في كتاب الله أن يوفر لهم كل مستلزمات الحياة الكريمة حتى أصبح عصره يضرب به المثل في الرخاء وانبساط أحوال الناس رغم أنه لم يحكم المسلمين سوى ثلاثين شهرا.

خاتمة:

والخلاصة أن النبي ، الوزير سيدنا يوسف، والخليفتان عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز كانوا نماذج فريدة للحاكم الذي يحرص على مصلحة الرعية من خلال التدابير الحكيمة التي اتخذها سيدنا يوسف عليه السلام لمواجهة أزمة الجوع التي تعرضت لها مصر في زمانه وكذلك السياسة الرشيدة التي سار عليها الخليفتان عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز المتمثلة في الموازنة بين الجانب المادي واتخاذ كل الأسباب التي تشجع الرعية على العمل والمثابرة لتحقيق الأمن الغذائي، والجانب الروحي أو العقائدي الذي يجعل الناس يقلعون عن المعاصي ويحرصون على الطاعات فيكثر الإنتاج وتحصل البركات. والملاحظ عبر التاريخ أنه كلما استقام أمر الدولة، وسارت على النهج الرباني لم يشعر أفرادها بالظلم مما يحفزهم على العمل بجد، وكلما حادت عن سبيل الحق اختل التوازن المالي وانعكس ذلك سلبا على كل جوانب الحياة. والتجارب التي أوردناها في مقالنا يمكن الاستفادة منها لمعالجة المشكلة الغذائية التي أصبحت تؤرق الدول والشعوب اليوم وخاصة الدول العربية.

الهوامش:

(1) ظهر مفهوم الأمن الغذائي على إثر أزمة الغذاء العالمية خلا ل السبعينات، (رائد محمد مفضي الخزاعة، إشراف الدكتور – كمال توفيق حطاب، رسالة ماجستير الأمن الغذائي من منظور الاقتصاد الإسلامي حالة تطبيق الأردن، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الدراسية 2000، 2001، ص 3.

(2) نشأ علم الديمغرافيا التاريخية كعلم حديث في فرنسا خلال الخمسينات من ق 20 على يد لوي هنري وهو علم يحاول فهم التاريخ فهما عميقا من خلال معرفة عميقة بالسكان من حيث العدد، والقوة النشيطة والعاطلة والمستهلكين وغيرها. (مجلة كنانيش، متخصصة في الديمغرافيا التاريخية، الديمغرافيا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إعداد مصطفى نشاط، محمد استيتو نور الدين المودان، العدد الأول، وجدة، المملكة المغربية، 1999، ص 14.

(3) أبو شيخة عيسى وآخرون، مشكلات عالمية معاصرة، ط 1، دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع، 1984، ص.12

(4) الصعيدي عبد الله عبد العزيز، أثر التنظيم الجدي للتجارة الدولية على الأمن الغذائي في الوطن العربي، مجلة آفاق اقتصادية. مج 17، العدد 67، ص 72.

(5) ابن خلدون عبد الرحمان المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م، ص 42.

(6) رائد محمد مقضي الخزاعة، المرجع السابق، ص 11.

(7) الشلش محمد، منهج الإسلام في تحقيق الأمن الغذائي ومكافحة المجاعة، منطقة دورا التعليمية، جامعة القدس المفتوحة، ص 194.

(8) سورة النحل، الآية 112.

(9) سورة يوسف، الآية 47 – 49.

(10) سورة يوسف الآية 47.

(11) سورة يوسف الآية 47.

(12) لينا زياد أحمد الدبك، مشكلة الغذاء وعلاجها (دراسة قرآنية)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين،2009، ص 137.

(13) الهادي عبد المنعم فهيم، عالم النبات في القرآن، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 22.

(14) سورة يوسف، الآية 47.

(15) سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 4، الطبعة شرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص1994.

(16) سورة يوسف، الآية 48.

(17) القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد المحسن التركي، ج 11، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2006

(18) العمري أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، مكتبة العبيكان، ص242.

(19) ابن سعد بن منيع الزهري، كتاب الطبقات الكبير، ج 3، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 104.

(20) الخراج كما عرفه الماوردي هو حق أوصل الله تعالى المسلمين إليه من المشركين، وهو مال فيء يصرف في أهل الفيء ويجبى بحلول الحول. وهو مقدر بالاجتهاد بخلاف الجزية المقدرة بالنص. (الماوردي، أبو علي حسن بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط 1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409 – 1989 م ص 181.

(21) العمري، المرجع السابق، ص 198.

(22) القرشي يحي بن آدم، كتاب الخراج، تحقيق حسين مؤنس، ط 1، دار الشروق، بيروت، 1987، ص 8.

(23) المزيني أحمد عبد العزيز، الموارد المالية في الإسلام، ط 1، الناشر ذات السلاسل، الكويت، 1994، ص 277.

(24) المزيني، المرجع السابق، ص 276.

(25) أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص 189.

(26) البلاذري، فتوح البلدان المحقق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص 629.

(27) الصلابي علي محمد، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، ط 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2005، ص 238.

(28) أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص 214.

(29) نفس المرجع، ص 2140.

(30) وقعت الرمادة على الرجح سنة 18 هـ/ 639 م. يقول ابن الأثير: في سنة ثمان عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وهو عام الرمادة.. واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعا فها من قبحها. (أنظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، تحقيق أبي الفدا ء عبد الله القاضي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987 م. ص 396).

(31) السلماني عبد الله طه عبيد الله ناصر، أزمة عام الرمادة الاقتصادية سنة 18 هـ / 639 م من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، كلية جامعة الموصل، العراق، ص 12.

(32) أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص 214.

(33) الصلابي، المرجع السابق، ص 224.

(34) نفس المرجع، والصفحة

(35) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 69.

(36) نفس المصدر، ج 10، ص 70.

(37) ابن شبه، عمر بن شبه النمري، تاريخ المدينة المنورة، ج 1، تحقيق علي محمد دندول، وياسين سعد الله بيان، دار الكتبالعلمية، بيروت، 1417هـ/ 1996م، ص394.

(38) نفس المصدر، ج 2، ص 738.

(39) الصلابي، المرجع السابق، ص217.

(40) السلماني، المرجع السابق، ص 10

(41) سورة البقرة، الآية 155.

(42) سورة الأعراف، الآية130.

(43) ابن منظور، المصدر السابق، ج 13، ص 501.

(44) سورة الطلاق، الآية 2.

(45) سورة نوح، الآية 11 – 12.

(46) ابن عطية الأندلسي (أبو محمد عبد الحق)، المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ج 5، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 373.

(47) ابن شبة، المصدر السابق، ج 2، ص 736.

ابن شبة، المصدر السابق، ج 2، ص 736.

(48) قطب إبراهيم محمد، السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص 180.

(49) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ط 1، دار الكتب العلمية، 1404، ص1984.

(50) قطب إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 35.

(51) ابن عبد الحكم (أبو عبد الله)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما وراء الإمام مالك بن أنس وأصحابه، نسخها وصححهاوعلق عليها احمد عبيد، ط 2، الناشر مكتبة وهبه، مصر، ص 146.

(52) عبد الستار الشيخ، عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، ط 2، 1996، دار القلم، دمشق، ص 295.

(53) ابن سعد، المصدر السابق، ج 5، ص 378.

(54) الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج 2، دار المعرفة، بيروت، 1429 هـ، ص309.

(55) الصلابي، عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، ط 1، دار التوزيع والنشر، مصر،2006، ص 63.

(56) السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، تاريخ الخلفاء، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2003، ص 185.

(57) ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 345.

(58) سورة هود، الآية 85.

(59) الصلابي، سياسة عمر المالية، ص 113.

(60) الصلابي، نفس المرجع، ص 213.

(61) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 104.

(62) ا بن سلام، المصدر السابق، ص 378.

(63) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(64) قطب إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 109.

(65) نفس المرجع، ص 104.

(66) نفس المرجع، ص 105.

(67) الصلابي، الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره، ط 4، دار المعرفة، بيروت، لبنان،2009، ص 238.

(68) الصلابي، المرجع السابق، ص 239.

(69) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 59.

(70) قطب إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 41

(71) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 59